صفقة على شرف امرأة

مجموعة قصصية

للكاتب / علاء سعيد

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الأديب للطبع والنشر والتوزيع

اسم الـــدار	دار الأديــب للطبــع والنشــروالتـــوزيع
اسم الكتـاب	صفقة على شرف امرأة
اسم الكاتب	علاء سعيد
رقم الإيــداع	(٢٠١٩/٢٥٣١٢) بدار الكتب المصرية
الإخراج الفني	دار الأديب .. (انجي خيري)
الغـــلاف	من تصميمات الدار

Facebook: Dar.Aladeb

Email :daraladeeb@Gmail.com

Tel: 002- 01014449164

مُقدمة :

ترنيمة للتفاؤل

ودعت الماضـــي البعيد إلى مُستقبل أكثر طموحاً

وأرسلت السهم الشـريد إلى هدف ازداد وضـوحاً

وزرعت الأمـــل الولـــيد فنمـــا أغصـانا ودوحـــاً

ونشدت الغـد السعيد فصار الطريقٌ مفتوحـــاً

المؤلف

علاء سعيد

الإهــداء :

إلى روح والدتى الطاهـرة..

المرأه التى جعلت السعادة

والأمل دستوراً لحيــاتى..

فكان الطريق لحياه طاهره

علاء ..

ملك أمريكا

(١)

الساحل الأفريقي .. تلك الأفق العنيدة بمجاهل أفريقيا .. وعلى الجانب الغربي للقارة السمراء حيث تقع الربوع الغامضة .. فنحن الآن في العام ١٧٧٦ .

ينزل قادة البحارة الأمريكان اللذين يأمرون المئات من حملة البنادق الكلاسيكية بالنزول من عدة سفن يتراوح عددها من ١٨ إلى ٢٠ سفينة .. تحتوى كل سفينة على ٤٠٠ رجل أبيض مدججين السلاح يلجون الأرض المجهولة .. يلتقى عدد غير يسير منهم ببعض الأدلاء .. اللذين يقودنهم إلى حيث يوجد الزنوج الأشداء من أبناء يجتاز الغزاة بعد فترة عسكرة لبضعة أيام عدة أحراش ويبدأون في انتقاء العبيد فرادى أو مجموعات ..

في بُقعة دانية لتلك الأحراش كان مجموعة من الفتيان السُمر من ذوى الكمال العضلي البارز يتسلقون نخيل الموز لاقتلاع محصوله المحبب للسكان المحليين ..

يلمح بعضهم البيض وهم قادمون .. يهتف أحدهم وهو يُدعى إيمانكواه توبي الشاب الصلد بلهجة تقترب من الصراخ .. البيض .. البيض ..

كان إيمانكواه ذو خلفية واسعة عامة يضمره البيض تجاههم لتلك المجاهل السمراء .. في الماضي أخبرتهم جدته وهو طفل عن العشرات من البيض اقتادوا خاله في أيام غابرة ولم يسمع أحد عنه بتاتاً بعد هذا التاريخ يعود إيماناكوا أدراجه عبر جذع النخلة ذات الحراشيف الثنيات الصلدة يهرول أقرانه إلى داخل الأحراش الخضراء هاربين من التهديد الأبيض ..

تعثر إيمانكوا في ثنية شوكية صادفته فجأة .. فينكفئ فوق بقعة من الطين الرطب .. خائفاً مُرتجفاً ..

يقترب صائدو البشر منهم حثيثاً .. وهو عالق بالطين فيدنو منه اثنان من البيض تلمح في وجوههم غلظة عاتية وقوة غاشمة ..

فيتمتم إيمانكوا ببعض التراتيل التي لقنها له ملك القبيلة التي ينتمى إليها حين يجابه أشد الخطوب فتكاً وضراوة ..

يُلقى أحدهم بشبكة سوداء خشنه وثقيلة الوزن فوقه بينما ينقض الآخر عليه مُخرجاً قيد جنزيري صلد من داخل صندوق حديدي صدئ .. يرفعون عنه شباكهم العاتية ويبدأون بتكبيله عنوة ويقتاده أربع من الجنود الأشداء هو وآخرين من أقرانه اليافعين اللذين إلتقطوهم من بين تلك الأحراش وسيقانها العالية ويتوجهون بهم إلى حاويات البشر الفولاذية ذات المزاليج القاسية لأحدى السفن أمام سواحل غرب أفريقيا .

تبدأ رحلة الشقاء والرعب لهذا الأفريقي الشاب وسط عدد يُناهز المئتين من أقرانه مكبلين بالجنازير الصلدة القاسية والأغلال العاتية .. من الفينة للفينة .. كان يقتحم الحاوية أبيض متجهم ويبدأ في سكب جرادل المياه فوقهم بعشوائية

نفق في يوم واحد ، أربعة من أقران إيمانكوا من جراء الجوع الطاعون ..

فيلقيهم البحارة البيض بلا مبالاة مقصودة في عرض المحيط .. فيضحوا وجبة دسمة لقروش المحيط النهمة .. تمخر السفن عباب المحيط الأطلسي وصولاً للساحل الشرقي للولايات المتحدة .. ويبدأ الجنود فى تفريغ حمولة البشر فوق هذه القارة الشابة (أمريكا) .

يتم إلحاق إيمانكوا بالعمل بمناجم الفحم بالساحل الأمريكي الشرقي وكان يبيت بمزرعة أحد مُلاك المنجم الذى يوظف لديه المئات من العبيد السود

نشأت صداقة وطيدة ودافئة بين الشاب الزنجي إيمانكواه العم فرانك إيباؤه الذى إستُقدِم بنفس الأسلوب البربري منذ سنين خلت

وكان محور حديثهم أوجاعهم من التمييز العنصري تلك الفاقة التي يحيونها ومضى حولُ من الزمان والوضع المزرى على ما هو عليه من ضراوة السحت البالي والأوضاع القلقة لإيمانكوا والعم ايبواه.

لمعت في افق إيمانكوا توبي بارقة أمل في غداً مُتبسم عندما التقى بابنة إيبوا

(ناعومى) ابنته الشابة .. بدأ الأمر بمشاركة توبي ووالدها حديث السمر المزخرفة بأشواق العودة للديار.. فنشأت عاطفة أخاذة بين إيمانكوا وناعومى إيبواه ..

كان الكوخ العتيق هو العش الذى احتواهما زوج وزوجة .. عاشق وعاشقة وفى العام ١٧٩٠ سار لدى الزوجان العاشقين ثمرة حبهما أربع من الصغار الذين كبروا وترعرعوا وأنجبوا العشرات من الذكور والإناث عبر عدة أجيال

(٢)

في العام ١٨٦١ تنشب الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب وكان الرئيس الأمريكي في تلك الفترة (إبراهام لينكولن) .. من أشد المُتعاطفين مع حق الزنوج فى الحياه الكريمة أُسدل الستارعن تلك الحرب بإعلان الرئيس بياناً يؤكد من خلاله تعاطفه الشديد مع حق الزنوج قبل اغتياله ..

وانبثقت عن تلك التداعيات منظمة (النصر المظلوم) وكان من أشد المُتحمسين لها مكارثى بيترحفيد إيمانكواه الجد الأكبر.. وهى منظمة من طبيعتها السعي لإقامة المساواة بين الأبيض والزنجي ومن خلالها ناقش مكارثى الزنجي المُثقف الحريص على اقتناء الأعمال الأدبية العظيمة فى تلك الحقبة كلما أمكن ..

أنجب مكارثى زمرة من الأبناء والأحفاد من بين هؤلاء الأحفاد أنتونى الإبن الأوسط لريتشارد نجل مكارثى ..

كان انتونى فى طفولته يحبذ العُزلة والإنكباب على المُطالعة فى الكتب الزاخرة بالمآسى الإنسانية كرائعة فيكتور هوجو الكاتب العظيم (البؤساء) ومُعضلة الشقاء الإنسانى .. وعاماً بعد عام صار أنتونى ريتشارد ينمو وقضية الزنوج فى كينونة وجدانه ..

وأنتونى ريتشارد صاحب الشعر الأسود المُجعد الذى يتخلله بعض الشعيرات البيضاء .. كانت سحنته سحنتة إنسان مهموم بقضيته فأنفه المفلطح قليلاً كعامة الزنوج .. على صدغه الأيسر ثألولة بها بعض الشعيرات .. مما يجعل سحنته تبدو كشخصية تاريخية و مُبجلة

كان أنتونى شديد الذكاء وصاحب لقضيتة عادلة .. وكانت حماسته لقضيته أهم مايميزه بين أقرانه وكان لحسن منطقه وقوة تأثيره أن تبوأ مكانة عظيمة فى المُجتمع الزنجى ..

فكبروترعرع والقضية تعيش بداخله ..

كان على إتصال دائم بأقرانه و مساعديه للإطمئنان على أحوال جمعية (النصر المظلوم) ..

تقع الجمعية فى شرق واشنطن حيث الأغلبية الزنجية الساحقة والأحياء الأكثر فقراً .. وفى العاصمة العالمية حيث مراكز البورصات الدولية البنتاجون البيت الأبيض ومجلسي الشيوخ والنواب ..

كان لأنتونى صِلات وثيقة العُرى بأقطاب الدفاع عن حق الزنوج كمارتن لوثر كينج .. والبطل الأسطورى محمد على كلاى ..

وهكذا فإن أنتونى قد جمع فى يديه كل خيوط اللعبة كي يضحى خلال سنين قلائل صانع الأمل وزعيم جمعية (النصر المظلوم)

كان أنتونى فى طفولته يستمع من جدته عن الطريقة اللا آدمية التى إستُقدم بها جده الأكبر إيمانكوا من مجاهل أفريقيا إلى الدولة

الشابة الواعدة .. والمعاملة الوحشية التى تجرعها يوماً بعد يوم .. إلى أن تداعت السنين عنه ليشعركم هو مُضطهد كونه زنجياً ..

كان المُعلم العظيم مارتن لوثركينج هو المُرشد صاحب الرؤية الثاقبة الشفافة فيما يتعلق بحق الزنجى ومساواته العرق الأبيض وصاحب نظرية لابد أن تُحترم فيما تتعلق حق المساواه .. مما جعل العشرات الآلالف من الزنوج والبيض ومُتعاطفيه يُناصرون قضيته وصار أنتونى ريتشارد واحد من أهم معاونيه .. تعلق شخصيته المؤثرة إلى أن اُغتيل بدم بارد على يد أبيض مُتطرف ومُتعصب ..

فقد كان يخطب قائلاً بحماسة : إن السياسة الامريكية صاحبة ميزان العدالة المائل .. فى دهاليزها يوجد المنطق المعكوس فى بعض النظريات مُتعلقة بالأمن القومى ومصلحة الولايات المُتحدة ..

حتى لو كانت تلك السياسة على حساب إهدار حقوق الغير.. وهو منطق ثابت بدأ فى التنامى والإضطراد بعد الحرب العالمية الثانية ونشوء الحرب الباردة بين مُعسكرين الشرق والغربى إلى أن بلغت الذروة فى إختزالها فى لفظة (الإمبريالية الأمريكية) وهى نظرية فريدة من نوعها .. فالصديق يظل صديقاً حتى إشعار آخر وتظل يد أمريكا ممدودة ..

فإذا إستشفت أمريكا أن موقف ذلك الصديق قد تبدل وصار مُناوءاً لمصلحتها المزعومة حفاظاً على ثوابت ذلك الصديق وأخلاقياته وإذ جد جديد يُعكر مزاج صانعى القرار الأمريكى تعود تلك اليد الممدودة أدراجها ..

وهكذا " أضحت بلاد العم سام .. صاحبة هبات القمح المجانية والمعونات السخية العدو الأول للدول النامية والبسطاء فوق هذا الكوكب "

(٣)

على قهوة الحرية شرقى العاصمة كان الشاب الواعد جون آدمز يقبع فوق أحد المقاعد الدانية من الطريق العام .. مُرتدياً قميصاً مُشجراً فوق بنطال من الجينز الأحمر مُنتعلاً حذاء رياضياً مُريحاً ..

كان جون آدمز ذو بشرة صافية من الإسمرار كونه مُمتزج العرق بين الأبيض والأسمر وكانت بشرته تميل للصفاء وشعره المُجعد يميل للنعومة وصاحب إبتسامة عذبة كصفاء نهر الميسيسبى ومن ورائها أسنان تميل للصفار..

اشعل غليونه يترنم نفساً عميقاً مُتذكراً والده وكيف قُتل بدم بارد على يد الشرطة فى إحدى المُظاهرات المطالبة بإنهاء التفرقة العنصرية فى نهاية حقبة الستينات كان والد جون آدمز حذقاً وقد إفتتح صالوناً متواضعاً بأحد الأحياء الفقيرة فكان يصطحب صغيره جون معه إلى أن شرب الصنعة وأتقنها ..

أما قهوة الحرية فهى مقهى عتيق بُنى إبان الحرب العالمية الأولى فأضحى قبلة البائسين المُهمشين بالعاصمة الأمريكية .. وقد زينت جدرانه بصور كلاً من مارتن لوثر كينج والثائر تشى جيفارا و المهاتمة غاندى ..

يتناول صحيفة الواشنطن بوست فيلمح خبراً مُقتضباً فحواه ..

" مصرع زنجى خلال دفاعه عن زوجته أثناء تعرضها للإغتصاب بواسطة أربعة من الرجال البيض "

فإمتقع لون الرجل ذو الإبتسامة الصافية وألجمته بشاعة الحادث وبات يغوص بتفكير عميق ..

كان جون على موعد مع رفيق دربه ونضاله جاك هولمزوهو سائق سيارة اجرة مُتمرس فجمعتهما جمعية (النصر للمظلوم)

والتى يحمل لواءها العم أنتونيو ريتشارد عاهدا نفسيهما أن يهبا حياتهما وكينونة فؤادهما للزود عن حق الزنجى العادى أما جون نفسه فبعدما أتقن صنعته وشربها من خلال والده الشهيد آدمز فصاريتردد على حانوته الأثرياء الذين يطلبونه بالأسم نظراً لبراعته فى أعمال تزيين الشعروكون مبلغً لابأس به مكنه من إستئجار أحد الحوانيت بأحد الفنادق الكبرى وذاعت شهرته بين الزبائن ..

يتلاقى رفيقى الدرب بالأحضان ... وبعد الترحيبات المُعتادة يُبادل جون بالحديث قائلاً :- هل إتطلعت على الواشنطن بوست يرد جاك وقد إختفت إبتسامته ..

نعم قد هزنى مصرع الزنجى المسكين لقد فاض بنا وضقنا ذرعاً بهؤلاء الحمقى فقد فاض بى وبإخوانى .

(٤)

يلج رئيس أمريكا جيمس ريتش مكتبه البيضاوى بالبيت الأبيض المُبجل .. متبوعاً بنائبه ووزيرى الدفاع والخارجية فقد كانوا عائدين لتوهما من مشاهدة اوبرا بحيرة البجع .. كان الرجل ذو الانف المعقوف والعينين الزجاجيتان مُرتدياً بذلة سموكينج فاخرة .. يخلع ريتش الجاكت الأنيق ويُشعل سيجاره الكوبى الفخم وموجهناً حديثه لمعاونيه ..

كم كانت فاتنه سيقان بطلة العرض فيرد وزير دفاعه بخبث وإبتسامة ماكرة

لو شئتم لدعوناها على العشاء اليوم .. يرتمى جيمس ريتش فوق أحد الأرائك الوثيرة ويفك رباطة عنقه .. لقد كان قلقاً وحائراً وينهض ويتجه صوب النافذة مُطلعاً بحديقة البيت الأبيض اليانعة .. كانت

المُشكلة بين كوريا الشمالية والجنوبية فى أوجها .. فالإحتقان والروح العدائية تنتاب الكوريتين ..

ويتجه بصره ناظراً لوزير دفاعه قائلاً بقلق :- ماهو الموقف بينهما الآن ..يرد وزير الدفاع بإقتضاب :

الوضع مملتهب جداً سيدى الرئيس فكوريا الشمالية تدق طبول الحرب وأصدقائنا بكوريا الجنوبية يستنجدوننا .. إن إستطلاعات الرأى وتقارير الرأى العام تظهر تفوقاً واضحاً للديموقراطيين خاصة وأنهم قد تبنوا مشكلة التمييز العنصرى وإلتف حولهم الزنوج البسطاء من البيض ونحن كحزب جمهورى بحاجة إلى خطوات جريئة تعيد الرأى العام لصالحنا .. يُطفىء الرئيس سيجاره الكوبى يترجل نحو مقعده الوثير حائراً مُنهكاً .

(٥)

توطدت أواصر الصداقة بين جون آدمز من ناحية والعديد من أعضاء منظمة (النصر المظلوم) التى يرأسها زعيمهم ومثلهم الأعلى العم أنتونى ريتشارد كان جون وجاك وآخرين يُشكلون خلية نشطة داخل الجمعية المناوءة للنظم المتهالكة واسلوب إدارتها .. وظل جون بعيداً عن الشك فيه من قبل المخابرات الأمريكية (C.I.A) نظراً لكونهم كأبناء البشرة البيضاء

تجمع جلسة مُكاشفة بين الصديقين الحميمين جون آدمز وجاك هولمز.. يفتتح جون الحديث قائلاً :- يالهم من جبناء ويقصد المغتصبون البيض اؤلائك الذين نفذوا فعلتهم النكراء بالإعتداء الجنسى الوحشى على المسكينة الضحية ولم يكتفوا بذلك بل أردوا زوجها قتيلاً .. يحتدم النقاش إلى أن صرخ جاك قائلاً :

لابد من عمل بطولى ضخم يقلب الأوضاع رأس على عقب .. ويعرفهم كيف يفرقون بين الحق والبُهتان ويلفت نظر الرأى العام الأمريكى والدولى لمشكلة التفرقة العنصرية .

فى تلك الأثناء يذيع التلفاز تقريراً حول إحياء اليابان ذكرى ضحايا القنابل الذرية فى هيروشيما وناجازكى متبوعاً بآخر حول الضحايا الفيتناميين من أثر

الغزو الأمريكى الجائرلها .. تلك الأحداث التى خلفت عشرات الآلاف من القتلى والمُصابين والمشوهين تلك الخطوب الجلل التى مزقت البشرية ..

كم هى الأرواح البشرية رخيصة عند أسياد العالم كما يدعون والذين نصبوا أنفسهم الحاكم بأمره على هذا الكوكب والمُتشدقين بنظريات شتى عن الحرية والعدالة .. فيهتف جون آدمز قائلاً :

ها هى الحضارة السامية التى يدعونها .. أين ميثاق الأمم المتحدة المانح لحق الإنسان فى الحياه وليس الفناء ..

(٦)

كانت مونيكا هوب كينزصاحبة شخصية قوية ومؤثرة .. وهى سياسية نشطة وكان جمالها المُثيريلفت أنظارالجميع .. وذات جسد انثوى فائروصدرحريرى وأرداف كأرداف ظبيان سهول شمال اوروبا الجبلية الواعرة .. ولها القدرة على مواجهة مسؤلياتها تجاه الحزب الجمهورى بأسلحتها الأنثوية .. فكما يقولون

(قوة المرأة فى ضعفها) أسموها المرأة الحديدية داخل الفريق المعاون للرئيس إن جمالها الأخاذ الفاتن جعل الرئيس ينظرإليها نظرة اخرى وكأنها غنيمة لا يجب تفويتها وقد شعرت بحدسها الأنثوي بهذا وبدأت فى إعداد العدة لتصبح خليلته .. وبالفعل تمكنت من استقطاب الرئيس لصالحها حتى عينها مُديرة لحملته الانتخابية ..

طودت أواصرالصداقة بينهما مفضية لما هو أكثركالمغازلة والقبلات المسروقة إلى أن تطور الامرليصبح عشيق وعشيقة فكان يتنكرفى شخصية رجل أمريكي عادى ويقضى معها اوقات حميمة بمحل إقامتها بالفندق تحت إسم مستعار..

فقد كانت عزباء لعوب تتقن فن الغواية .. يقضى معها أوقات حميمة بعيدا عن أعين الصحافة والتلفاز..

فكان يمارسان الحب بانتظام وفى غفلة من الجميع .. تلاطفه قائلة :

- هل تعشقني كما أعشقك ؟ كم كان وقتاً سعيداً لنا وما أجمل ما فعلناه سويا .. لكن زوجتك باربرا تعد منافسة فى عشقك والحقيقة أشعر بالغيرة

- كلا حبيبتي إنها مُجرد ديكور لحياتي لا أكثرومن الممكن أن أغيره فى أي وقت أشاء لكن انتظر حتى تنتهى فترة ولايتي فتكونين فوق عرش قلبي مُبجلة .. لأن الديموقراطيين فى انتظار أي هفوة لينقضوا على الحكم والنيل منى وإجباري على تقديم استقالتي .. لقد خسروا معركتهم الانتخابية بفارق بسيط وهم يشعرون بخيبة الامل .. بل ويتحينون بفرصة للإطاحة بى قبل الانتخابات المُقبلة واكتساح مجلسي النواب والشيوخ لصالحهم أيضاً .

بعدما عينها الرئيس مُديرة لحملته الانتخابية قادت مونيكا الحملة بشجاعة واقتدار نابعين من قوتها الداخلية التى تستمدها من ضعفها الأنثوي وهو سلاحها الفتاك فهى تعي جيداً أن نجاح الرئيس هو انتصار لها وهكذا سيطرت عليه ..

كانت مونيكا فى شبابها المُبكر ذات علاقات جنسية وعاطفية مُتعددة قبل أن ترتقى فى مُعترك بالحياة السياسية من قبل أن تدخل منطقة اهتمام جيمس ريتش أو جوني كما كانت تلاطفه ..

كان من عشاقها بات برادلي الصحفي بإحدى الصحف الكبرى الذى نشأت بينها وبين مونيكا علاقة جسدية عندما كانت تعمل كموديل لأحدى مجلات الموضة كان برادلي يراقبها عن بُعد وبحسه الصحفي شعر بأن الرجل الذى يزورها ليس شخصية عادية فتقص خطواته حتى باب غُرفتها وتنصت عليهما ليكتشف أن العشيق هو الرئيس جيمس ريتش ..

كانت تلك غنيمة لابد وأن يستثمرها ويستغلها أفضل استغلال مادياً ومعنوياً وصاريتقصى أرقام هواتف صقور الحزب الديموقراطي إلى أي التقط رقم السيناتور سام شولتزوكأنه قد هبطت عليه ثروة من السماء تُقدر بملايين الدولارات .

(٧)

يستيقظ الرئيس فى السابعة والنصف صباحاً ينهض من جوارزوجته باربرا بتثاقل ويتوجه للغرفة المُلحقة بجناحه الخاص لُإجراء مكالمة مع عشيقته اللعوب تُبادره بالقول :

- كم كنت جميلاً بالأمس .. بالمناسبة ماهي أخبار ابنك مايكل ؟

فيتثاءب الرئيس طويلاً ثم يقول بنبرة حزينة :-

ياله من فتى مُراهق مارق .. فقد يستغل الديموقراطيين مسألة علاجه بالمشفى بعد إدمانه للممنوعات وتكون فضيحة قد تُطيح بى خارج البيت الأبيض .. فقد وردت أنباء سيئة من مشفاه فلقد نحل تماما بعدما تسكع مع عبده الشيطان .. حتى سلبوه إنسانيته السوية .

لكن ماهو موقف بيانكا صديقته فأنا أعرفها جيداً إنها تعشقه ولا تكاد تفارقه وشغوفة به إلى حد الهوس ..

يرد الرئيس بقلق :

ماذا تنتظرين من الفتيات عندما يرون شاباً وحيداً هو نجل الرئيس بهذه السذاجة وقلة الخبرة ؟ ..

بالتأكيد سينتهزن الفرضة ويلاحقونه بحثاً عن التسلية والشهرة إن تلك الفتاه بالذات هى سبب رئيسي فى انحطاط أخلاقياته إلى تلك الدرجة الرهيبة .. مع كل احترامي لكى ولعلاقتك بها فقد كان أجدربكى أن تنصحيها بالابتعاد عن ولدى ..

يستشعر جيمس قدوم زوجته فينهى حديثه مع مونيكا قائلاً :-

سأغلق الخط الآن يبدوا أن زوجتي باربرا استيقظت سأهاتفك لاحقاً ..

تلج باربرا المرأة ذات السبعة والأربعين عاماً الغرفة لتجده محتضناً كلبه روكي وعابثاً بفرائه الأملس أما هى فكانت متوترة إلى حد بعيد .. لقد التقطت اذنها جانباً من حديث العاشقين .. تُشعل سيجارة وتزدرد كأساً من البراندى .. تنظر إلى جيمس بنظرات تملؤها اليأس وخيبة الرجاء من خلال عينين مُرهقتين قد سئمت خياناته وتجاهله لمشاعرها مما قادها لإدمان الخمور ومُضادات الاكتئاب ..

والهالات الرمادية حول عينيها تشهد عليها .. إضافة إلى مسألة إدمان ابنها مايكل .. ساد الصمت مُطبق بينهما بُرهة فلم ينطقا ببنت شفا .. كان يُحاول الهروب من عينيها التعيستين بالنظر أرضاً أو مُداعبة فراء كلبه الوفي .

يقطع الصمت الرهيب رنين هاتفه الخاص .. كان على الطرف

الآخروزير دفاعه الذى يقول بقلق :-

لقد أعلن رئيس كوريا الشمالية أن بلاده ستخصب اليورانيوم ليصبح مُشعاً

-أغلق الهاتف وقد جعلته مُفاجأة بحالة من الاضطراب .

(٨)

كان جاك هولمزوجون آدمزقد ضربا موعداً فى الثامنة والنصف مساءً بحضور خطاب العم أنتونيو ريتشارد بجمعية (النصر المظلوم) كانا متشوقان لسماع كلمته المنتظرة أما مقر الجمعية فكان عبارة عن مبنى عتيق كان فى الأساس مأوى للمُشردين خلال الثلاثينات من القرن العشرين ومُلحق به أرض فضاء يتسع لآلاف من البشر ..

يستقل جون سيارة الأجرة الخاصة بجاك ومتوجهان للجمعية ويصلان فى الميعاد المُحدد .. يتوافد الأعضاء تباعاً إلى أن اكتظ المكان من المريدين الزنوج وبعض البيض المُتعاطفين مع قضيتهم يقترب موكب العم أنتونى وقد كان مُستقلاً سيارة جيب بسيطة مع بعض من أعوانه المُقربين مُرتدياً معطفاً أحمر بسيط فوق قميص مصنوع من القطن المصري الزهيد وكاب بنى اللون ..

تتدافع الجموع نحوه لإلقاء السلام الحار عليه (باركك الله ياعم أنتونى) بهذه الكلمات استقبلته الجموع .. يبدأ أنتونى فى الصعود للشرفة بإلقاء كلمته .. يبدأها بالترحم على روح الزنجى الذى قتل غدراً بعد الاعتداء على زوجته .. وسط

التهليل المُتأجج من أنصاره الذين كانوا يحملون شعار الجمعية على قمصانهم وعلى اللافتات أيضاً .. ثم أردف قائلا :-

ما هذا العالم الذى نحياه .. إنه المنطق المعكوس فإنهم يُدللون الكلاب والقطط ويقتلوننا .. إننا لسنا عبيد بل بشر إن كل إنسان له الحق فى حياه كريمة خالية من الذل والامتهان ونحن جميعاً بشر إذاً فكلنا مُتساويين فى الحقوق والواجبات ..

(تصفيق حار) ومن مكاني هذا وكل فى موقعه اطالبكم بالثورة على البغي والعدوان .. وإن لأطالبكم بالانتفاض وإحقاق الحق ..

تحية منى لروح المُجاهد الكبيروأبانا الروحي مارتن لوثركينج .. واطالبكم بالصمود .. الصمود وتردد الجموع تلك الكلمة

(النصر للمظلوم الموت للظالم) .. إنها المعركة الأبدية بين الخيروالشروبين الشياطين والملائكة .. فيا أيها المعذبون فى الأرض اصمدوا أمام الطغاة لإعلاء قيم الحق والخيروالمساواة

(تصفيق مدوي وتهليل حار) .

(٩)

كان مايكل ريتش ابنا مُدللاً للغاية وهو الإبن الوحيد لجيمس وزوجته باربرا لقد وُلد وفى فمه معلقة من ذهب كما يُقال فكان مُنتجع كامب ديفيد تحت أمره وعربة جيب أوتوماتيك أحدث موديل تحت تصرفه .. وكانت أوامر الرئيس أن يمنح الحرية الكاملة فى تصرفاته .. كانت صديقته بيانكا من أهم أسباب انحطاط خلقه واتجاهه نحو السلوكيات اللاأخلاقية .. فبيانكا وهى ابنة سيناتور من الحزب الجمهورى مُدمنة على الممنوعات فوجد مايكل نفسه ينقاد رويداً رويدا نحو الإدمان فيتجرد من المشاعر الإنسانية السوية فقد جعلته المخدرات يتصرف بعدوانية ممجوجة تقترب من الحيوانية ..

فتجرد من التزامه الخلقي نحو المُجتمع والدين فأصبح كالريشة وسط رياح الانحطاط الأخلاقي وانهيار المُثل العليا .. لقد سلبه الكوكايين عقله السوى والإحساس بالمسؤولية ..

وكانت سقطته الكبرى عندما التحق بجماعة عبدة الشيطان فكان تضم عبدة الشيطان من كل أنحاء المعمورة .. فكانوا يُمارسون طقوسهم الهمجية عن طريق لاستماع إلى الموسيقى الصاخبة الغير مفهومة الكلمات والرقص الهستيري حتى

الصباح .. وصولاً للإلحاد التام وعدم الاعتراف بالشرائع السماوية والنواميس الأخلاقية ومُمارسة الجنس الجماعي بغير ضوابط .. كان هؤلاء هم رفقاء مايكل الذى يُفترض أنه النجل الأوحد لرئيس أكبر وأغنى دولة على هذا الكوكب .

لم يجد الأب ريتش بُداً من إدخاله مصحه لعلاج الإدمان تحت إسم مستعار وبعدما تمكنت منه المُخدرات وصار ذكرى إنسان

فأضحى كالشبح وهزل تماماً وضعف سمعه من آثر سماع الموسيقى الصاخبة لفترات طويلة .

وقام أطبائه بإعطائه المحاليل وبدائل السموم التى وصلت إلى دمائه عن طريق الشم أو الحقن ..

كان أحد المُمرضين بالمشفى على علاقة بالصحفي وعشيق مونيكا السابق (باد برادلي) جمع هذا الرجل كل الخيوط التى تُدمر مُستقبل الرئيس .. وبتحليل شخصيته نجد أنه يُضمر حقداً دفيناً على الرئيس كونه استحوذ على عشيقته السابقة هذا أولاً .. ومن ناحية اخرى فإنه ورغم طبيعته الماكرة إلا أنه كان

متعاطفا مع قضية الزنوج التمييز العُنصرى .. ويسخر فى كلامه من مواقف الرئيس البهلوانية كما يُسميها وسط أقرانه من الصحفيين .. كما كان حذقاً فى لعبة الشطرنج .. وهكذا فإن دهائه يشفع له بأنه ربما يكون أحد أسباب اقتلاع الرئيس من منصبه .

(١٠)

فى شقة جون المُطلة على شارع الحرية العتيق ذوق العبق والشجون .. عبق الماضي والكفاح وشجون الأحزان لفراق الشهداء وانتفاض الزنوج ضد البغي وبأس القوة الغاشمة والظلم البين ..

يلتقى رفيقا الكفاح جون آدمزوجاك هولمزوالذى كان يُطالع صحيفة الواشنطن بوست ليلمح خبراً عن انتحار أربعة مُعتقلين فى جوانتانامو وخبر آخر فحواه قيام مُظاهرات فى عواصم العالم للتنديد بالإمبريالية الامريكية وموقف الريس ريتش من الأزمة الكورية تجاهله لحق الزنوج وتجاهلهم بالظلم البين الذى كابدوه .

فجأة ينتفض جاك كمن عثرعلى كند نفيس أو أنه قد هبطت عليه ثروة تقدر بالمليارات قائلاً لجون بحماس :-

هذا لا يُصدق لقد جاءتك فرصة عمرك يارقيك الدرب .. انظر إلى هذا الإشهار من إدارة شؤون العاملين بالبيت الأبيض يطلبون حلاقاً

ماهراً .. يختطف جون الصحيفة من بين أنامله فيطالع الإشهار فى روية وتأنى مصحوبة بالدهشة .. يتوجه إلى الشرفة ويُشعل غليوناً ويأخذ نفساً عميقاً منه ناظراً إلى السماء ..

لقد شعر أن الله القدير قد ادخر له الفرصة كي يُخلد إثمه ويُعيد كتابة تاريخ العالم .. إنها فرصة لانتقام وتصحيح الأوضاع فإن عليه أن يُقاتل كي يفوز بهدية السماء فعليه أولاً أن يبدو فى أفضل صورة أثناء اختبار القبول للوظيفة .. وأن يتحلى باللباقة والشجاعة والكياسة كما أنه بعيداً تماماً عن أعين وكالة الاستخبارات الأمريكية (C.I.A) .. كونه يُعتبر من ذوى البشرة البيضاء كوالدته الشقراء بعد مُغادرة جاك .. توجه جون لزوجته فيكتوريا ..

فيجد منها تشجيعاً حاراً من قبلها للمضي فى طريق النضال ..

قائلةً بحماسة :

إن قوى الخير تُناديك يا جون هكذا بادرته بالقول حالما أخبرها بالموقف فيرد

بثقة عالية قائلاً :

لن أدع فرصة مثل تلك تفوتني سأصطحب معي شهادات الخبرة وأكون فى أفضل حال لهذه المُسابقة والله الموفق ترد فيكتوريا بحماس :-

الله يرعاك ياجون .. فأنت سوف تضحى بطلاً وشجاعاً من نسل الأبطال الذين لم يبخلوا بدمائهم وعرقهم فداءاً لقضيتنا الأزلية (التمييز العُنصرى) وظلم الطغاة .

(١١)

يحصل الصحفي بات برادلي على الرقم الخاص بسام شولتز زعيم الديموقراطيين لمجلس الشيوخ أما سام شولتز فهو شديد المراس رابط الجأش .. تقبع خلف عدستي نظارته السميكتين عينين يحملان المزيد من الجرأة والشك ومع شيء من التحدي وقدرة فائقة على مُجابهة أشد الأمور ضراوة وبأساً .. وهو صاحب العينين الجريئتين والشفاه الدقيقة والشارب الكث الذى تتخلله بعض الشعيرات الذهبية وشعر أملس مُصفف بعناية باللغة واذنان كبيرتان تنُمان عن جذوة الذكاء الثاقب ..

يُفاجأ سام بالرقم الغريب الذى كان بات برادلي الصحفي فيباغت المتصل قائلاً :

- من أنت وكيف التقطت رقمي ؟ ..

هناك معلومات قد تفييدك مسترسام قد تقلب موازين الانتخابات المُقبلة لصالحكم ياحضرة المُحترم :

اختصر من فضلك :

- مسترسام لدى معلومات عن نزوات للرئيس قد تطيح إلى خارج البيت الأبيض ..

- أسرع فلدى موعد هام :

لدى أخبار مؤكدة عن وجود علاقة جنسية تجمع الرئيس ريتش ومديرة حملته الانتخابية مونيكا هوبكنز.. كما أعتقد أن نجله مايكل من مدمني الكوكايين ..

يعترى الاهتمام مسترسام قائلاً بجدية :

ماذا لديك أيضاً :

ألآريد مقابلتكم أو مندوب عنكم :

حسناً ..!!

وبعد تلك مكالمة (الزلزال) يستجمع شولتز رباطة جأشه ويعبث قليلاً بشاربه الأشعث ممنيا نفسه وحزبه بضربة موجعة للرئيس ريتش يستعيد بها حزبه بها شعبيته المفقودة لدى الناخب الأمريكى المُتحير بين هذا وذاك ويبدأ بإجراء مجموعة من الاتصالات بصقور الحزب الديموقراطي .. وأيضاً لمُتابعة وتقصى رقم صاحب المكالمة (الزلزال) ..

فى المساء كان زعيم وصقور الحزب الديموقراطي ومن بينهم العم أنتونى ريتشارد على أهبة الاستعداد للبدئ الجلسة النارية ..

يرمق سام شولتز الجميع بنظرته الثاقبة المعروفة عنه قائلاً فى بداية الجلسة :

- تحت يدى بعض المعلومات التى تؤكد تورط الرئيس فى علاقات نسائية مشبوهة ثم يقول بصوت يغلفه الحزن

يالسوء طالع هذه الأمه .. إن هذا الرجل يلهو بأقدارها ويجعلنا ضحية لنزواته البهيمية .

لقد دعوتكم اليوم لانعقاد ومُناقشة هذا الأمروالأدهى من هذا أن هناك أنباء اخرى عن انخراط ابنه مع عبدة الشيطان وإدمانه على الكوكايين وهو الآن نزيل إحدى مصحات علاج الإدمان تحت إسم مستعار.. وأنا أدعوكم لاتخاذ قرار للتصويت فى الكونجرس على استمراره فى مقعده من عدمه .. يُهمهم أعضاء الحزب فيما بينهم فلقد أبهتهم وألجمتهم المُفاجأة .. ثم ساد الصمت برهة ..

إلا أن العم أنتونى ريتشارد قد طلب الكلمة ليقطع هذا الصمت قائلاً :

ليس من الصالح للولايات المُتحدة إقامة انتخابات مُبكرة .. فلندعو للتحقيق معه أولاً فإذا كان مُداناً فسيكون هذا لصالحنا بالتأكيد ..

ورغم شخصية زعيم الحزب سام شولتز الصلدة القوية إلا أنه قد رمقه بإعجاب قائلاً :-

لكن ماذا عن مظاهرات السود وتجاهله لها إضافة للموقف المُتأزم بين الكوريتين الشمالية والجنوبية الذى أوقع أمريكا فيه لفشله فى المعالجة الناجعة لموقف .. كما أن إستطلاعات الرأى تظهر تدنى شعبيته لأدنى درجة .. لابد أن ننتهز الفرصة فإن الوقت فى صالحنا ألا ترى ياسيد أنتونى أن الفضيحتين يزيدان من فرصنا فى انتخابات مجلسي الشيوخ والنواب وانتخابات الرئاسة ..

يرُد العم أنتونى بتؤدة :-

إننا بحاجة للقدوة الصالحة .. بحاجة إلى امة يكون فيها للفضيلة والأخلاق المكانة العليا لدى امريكا والعالم أجمع .

لا أن نكون اضحوكة لأبناء هذا الكوكب .. ولأيهم بعد ذلك أن يكون الرئيس أبيض أو أسود أو أصفر فذلك لأيهم والأهم هو أن يكون فوق الشبهات وأن يرتقى بالأخلاق والقيم بهذا الوطن ومن ثم للعالم أجمع .

(١٢)

يحين يوم الاختبار الحقيقي لتحقيق المشيئة الإلهية بتبوأي جون وظيفة حلاق الرئيس فكون هيأته غيرزنجية تبعده عن أعين رجال الاستخبارات الأمريكية .. فمظهره ليس زنجياً وليس له سجل يحجب عنه الفوز بوظيفة حلاق الرئيس واغتنامها ..

قبل توجهه لإدارة العاملين بالبيت الأبيض قرأ سطوراً من الإنجيل وابتهل إلى الله لكى تكلل مساعيه بالنجاح فبدأ بأزهى صورة واصطحب سيرته الذاتية الناصعة .. يدخل عشرات من مصففى الشعروتهذيب الذقون الذين تقدموا لشغل نفس الوظيفة وسط إجراءات أمنية حازمة .

فوض الرئيس زوجته باربرا كي يكون لاختبارتحت ملاحظتها الشخصية لتزكى من تراه صالحاً كي يتبوأ هذه الوظيفة

كانت السيرة الذاتية لجون آدمز ممتازة فنجاحه فى إدارة صالونه الخاص بفندق ماريوت كان شفيعاً كافياً .. وسانده القدربشدة عندما تعثرت باربرا فأسندها جون الذى تصادف وجوده بجوارها تلك اللحظة فترمقه باستحسان وغبطة فارتاح قلبه كثيراً وأحس أنه بات قريباً من اغتنام الفرصة التاريخية ..

تمر باربرا بين المُتقدمين فتجرى حديثاً هامساً مع هذا أو ذاك وعينها على جون آدمز وتبدأ بفحص السير الذاتية لكلٍ منهم .. بعد ترقب حذر من الجميع تم تصفيتهم لخمسة فقط كان جون آدمز من بينهم ويدور نقاش خافت بين السيدة الاولى ومدير العاملين بالبيت الأبيض والجميع فى حالة استنفار أما هو فكان هادئ واثقاً من نصر الله الذى ثبته فى هذا الموقف الصعب فأنزل الله السَكينة على قلبه وشعر جون أنه بات قريباً جداً من تبوأ تلك المكانة ..

بعد مداولات مطولة أعلن مدير العاملين وبعد تزكية السيدة الأولى ان صاحب الوظيفة هو جون آدمز..

رقص قلبه طرباً ونشوةً فقد بات على بُعد خطوة بسيطة من القيام بعمل بطولى يغير وجه العالم بأسره ..

بعد التصدي لتظاهرات الزنوج الحاشدة والمُتعاطفين من البيض والتى ضمت عشرات الآلاف تم الزج بحوالي مائتي زنجى فى السجون رهن التحقيق .. تُندد جمعيات حقوق الإنسان ومنظماتها

لقمع المظاهرات .. تتضامن معها العشرات من المنظمات المُشابهة حول العالم

يستنفر هذا المشهد العديد من زعماء العالم على رأسهم نيلسون مانديلا المناضل الأفريقي فيهاتف العم أنتونى ريتشارد مُعلناً تضامناً مع الزنوج فى محنته من خلال هذا المشهد الذى هز العالم ووجدانه .

وكان من أسباب تلك المظاهرات أيضاً قرار الرئيس ريتش إرسال حاملات الطائرات النفاثة بالقرب من الكوريتين والخوف من قيام حرب عالمية ثالثة تُهدد بفناء جنس البشر بعد اجتماعه بمجلس الأمن القومى الأمريكي .

(١٣)

كانت الخطوة التالية لجون هى اكتساب ثقة واحترام الجميع بالبيت الأبيض بل وثقة الرئيس نفسه .. فكان يتحلى بروح الدُعابة مع الرئيس وأعوانه لكى يكسبهم جميعاً فى صفه وذلك الجزء الأهم من خطته كان جون يسكن داخل البيت الأبيض مع العاملين به كعمال النظافة ومشذبي الحشائش والأشجار.. وكان يتقرب للحرس الشخصي للرئيس ليجهلوا ماهو مقبل عليه

كان حظاً طيباً عندما تزامن موعد علاقة ذقن الرئيس ريتش مع برنامج (واجه الامة) على شاشة إخبارية .. كان الرئيس جالساً فوق مقعده الوثيروالمقابض الذهبية ويُشاهد البرنامج باهتمام شديد .. كان البرنامج يُناقش الموقف من الكوريتين وموقف أمريكا منه ..

يدخل جون ركن الرئيس وأمامه منضدة فخمة فوقها جهاز التحكم فى قنوات التلفازوعليه علبة السيجار الذهبية وهاتفه الخاص بادرجون الرئيس قائلاً :

- سيادة الرئيس صباح الخير..

يبدأ جون عمله بوضع الاسبراي المحتوى على صابون الحلاقة فوق وجه الرئيس بكثافة بينما يحتدم النقاش فى برنامج واجه الامة وهل الرئيس على خطأ ام صواب فى مسألة إرسال حاملات الطائرات لشبه الجزيرة الكورية .

تتسارع دقات قلب جون وهو فهو مُقبل على مهمة سوف تغير مجرى التاريخ أما ريتش فكان مُندمجاً تماماً مع البرنامج ..

تحين اللحظات الفاصلة فهاهو الرئيس مسترخياً فوق كرسيه الوثير الفخم وعندما حانت اللحظة الفاصلة انقض جون فوق الرئيس واضعاً الموسى فوق رقبته .. وسط ذهول ريتش فألجمته المُفاجأة .. فجحظت عيناه وامتقع لونه وصدرت من حنجرته حشرجة ناظراً إلى جون الذى صرخ فيه :

-أيها الجبان كن جريئاً ولو لمرة واحدة هيا أيها المُخادع أعلنها أمام شعبك والعالم أجمع إنك ستسحب حاملات الطائرات وأنك لن تضحى رئيساً بعد الآن .

ازدرد الرئيس ريقه بصعوبة وبعدما أفاق من ذهول الصدمة حشرج قائلاً :

- لكنى .. لكنى فيقاطعه جون بحدة .

أيها الأحمق هيا هاتف البرنامج لتعلن تراجعك واستقالتك

وبيد راجفة تناول هاتفه ليعلن استقالته ..

تنهال المكالمات على البرنامج وينتشر الخبر بسرعة البرق إلى جميع أنحاء المعمورة مُعلناً ميلاد فجراً جديداً للبشرية .

(١٤)

تجتاح العالم موجع عارمة من الارتياح الممزوج بالنشوة بعد استقالة ريتش مُعلنةً التقديروالغبطة بكافة أنحاء المعمورة أما فى أمريكا فكان أعضاء الحزب الديموقراطي بل وأنصاره أيضاً بداخل الكونجرس وخارجه لإبداء غبطتهم بقرار الرئيس ووسط ابتهاج الشارع الأمريكى ونزولاً على رغبة الجماهيروإرضاءً الضمير العالمي المُتطلع للمساواة والعدالة ويجتمع أعضاء الكونجرس فى جلسة استثنائية والذى أقر استقالة الرئيس بأغلبية ساحقة وكان بالطبع من بين الحضور العم أنتونى ريتشارد مُمثل الزنوج والمُهمشين بأمريكا .

تبدأ الجلسة التاريخية بالانعقاد .. فيتبوأ سام شولت المنصة مُلقياً كلمة تُعبر عما يخالجه بالغبطة والنشوية قائلاً بحماسة بالغة إنه ليوم تاريخي مشهود فهاهي الجماهيرفوق هذا الكوكب تُعلن نهاية التفرقة العنصرية بسبب اللون أو الدين أو الجنس لقد اتصل بى أكثرمن رئيس دولة مُعلنين تضامنهم مع مطالب الجماهيرفلا تفرقة ولا تمييزمن الآن فصاعداً فلقد قررنا نحن أصحاب القرار بأمريكا بأن يكون نظام حكمنا ملكياً .. وأن يكون الملك زنجياً ((لأن من اكتوى بنارالظلم لا يمكن أن يكون ظالماً أبداً)) ..

صفيق مدوي ..

ولقد اخترنا واصطفينا العم أنتونى ريتشارد لتبوء تلك المكانة .. والرجل يُعتبر قدوة لنا وللبشرية جمعاء .. وإنني ادعوه ليتبوأ المنصة ويُلقى كلمة ..

وسط تصفيق الحاريقف أعضاء الكونجرس تحياً وإكباراً للرجل الخلوق يرتفع التصفيق الحاد ويتبوأ العم أنتونى ريتشارد المنصة فيقول بالحرف الواحد وبلهجة حماسية شجية :

أيها السادة أصحاب القرارفى أقوى دولة على سطح هذا الكوكب لقد حان اللحظة المشهودة لتغييرفكرنا وتبديل منطقنا .. إن المساواه والعدالة والحرية لابد أن تسود العالم .. وانى ادعو شعبنا وكافة الشعوب على مستوى العالم أن نكون اسرة واحدة فلا حدود بين البشر.. كلنا من خلق الله وجميعنا متساويين فى الحقوق والواجبات أمام الله والمجتمع .. ولقد سررت بتشريفكم لي باختياركم هذا والله يوفقني كي أحقق أملكم وشكراً لكم يرتفع التصفيق المدوي معلناً نهاية الظلم ولينبثق فجر جديد فوق هذا الكوكب وسط بهجة النشوة والفرحة بكافة أنحاء المعمورة .

تمت..

سارقة القلوب

جنات البحيري .. امرأة مثل غيرها من نساء هذا البلد .. لكن ماهي قصتها .. إنها قصة درامية لتلك المرأة ذات الوجه الملائكي الحزين فى عيون المها التى تمتلكها لا تخلو من مكر حيناً وبراءة فى أحيان كثيرة .. وأنفها الدقيق يوحى بجمال خفى لا يقدره سوى من يحس بجمال الروح قبل الشكل .. وشفتاها المكتنزتان تعكسان رغبة وتمَنُع بآن واحد فما من رجل يحاول التودد إليها وملاطفتها إلا ردته خائب الرجاء .. فخبراتها بعالم الرجال فاقت كل تصور .. وباتت تدرك من أول وهلة هل هو ذئب نساء أم بريء الطباع .

من قلب حي المنيرة الزخِم شبت عن الطوق وعرفت الدنيا على حقيقتها بلا زخرفة أو رتوش .. وكان قدرها أن تتحمل راغمه عبء اسرتها فاقدة الأب الملاذ .. والذى لم يلقى ربه إلا بعدما خلف من

وراءه ديوناً بالجملة وهى فى الرابعة عشر.. وتاركاً زوجة مقهورة وثلاثة فتيات وكانت هى البكر.

وهكذا كُتب لها تحمل المسؤولية راغمه مذعنة .. هجرت دراستها لتطعم المسكينة العاجزة والدتها واختين فى عمر الزهور .

ترتدى جنات فى الصباح الثوب الفستقي المطرز عند الصدروالمفتوح قليلاً مع السلسلة الفضية الوحيدة لديها والمنقوش عليها لفظ الجلالة كانت قد أهدتها لها صديقة مقربة .

تنظر جنات أرضاً لتجد الحذاء البالي ذو الكعب العالي والوحيد لديها بانتظارها كما أن حالتها المادية لا تسمح بشراء حذاء جديد .. خرجت من باب غرفة السطح التى تقطن بها وتروى نبات الريحان الذى تعشقه بلونه الأخضر الصافي الفواح والوريقات البيضاء

والحمراء التى تطل من أوسطه وقطفت زهرة صغيرة لعل أريجها يُنسيها زخم حياتها المؤلمة . نظرت للسماء قائلة :

- يعنى لازم يبابا تلعب الورق وتموت وانت مغرقنا فى ديون وهم وشيكات بدون رصيد .. ابهى ماما اتشلت من الصدمة وأخواتي زي المشردين ..

بعدما أفطرت إمها واختيها ترجلت إلى عملها ولكن ماهو عملها ؟

إنها نشالة محافظ للأغنياء من الرجال ذوى الإرادة الضعيفة أمام تأثيرها الأنثوي الساحر.. إنها ماهرة فى اصطياد محافظهم بعدما تعشمهم بليلة حمراء أو

نزهة بالسيارة على النيل .إنها تلعن اليوم الذى التقت فيه بسهير حلمى صديقة طفولتها التى بصنعة لطافة جرّتها إلى عالم الغواية بعدما إستشفت ذُلها وحرمانها من المادة .

تسترجع شريط ذكرياتها الأسود القميء .. لقد علمتها سهير الصنعة ثُم عَرَفتها إلى فؤاد أباظة الرجل القواد الذى حوَل براءتها وسذاجتها إلى أوهام وسراب .. بعدما عشمها بالارتباط .

خرجت جنات من تلك التجربة المقرفة كالفهد الجريح تريد أن تنتقم من كل ذكر تحس بأنه سيخدعها مثلما فعلها فؤاد القواد .. لكن هذه التجربة منحتها خلفية عن عالم الجنس والرجال فعاهدت نفسها أن تنتقم من كل رجل يسعى للنيل منها واصطياد محافظهم دون جرح كرامتها كانت الغنيمة جيدة فى هذا اليوم الذى عادت فيه إلى والدتها المنهكة والتى تزِم إشاربها القوية قائلة لابنتها بصوت منهك خافت ..

- ايه التأخير ده يا جنات أخواتك حلفوا ما يتغدوا إلا لما توصلي .

ألقت جنات جسدها المنهك فوق الأريكة الخشبية العتيقة فتُحدث أزيزاً لا ترتاح له الآذان ..

كان نادر الشناوي ابنا مُدللاً لعائلة ثرية وكان أجداده من الإقطاعيين القدامى .. لكنه عشق الرسم وتمرد على والده الذى ابتغى أن يدخله كلية الصيدلة ليتولى إدارة مجموعة صيدلياته .

وأخيراً منحه والده مبلغاً غير قليل ليبدأ به حياته .

إفتتح الفنان نادر مرسماً بقلب حي الجمالية العتيق .. كان نادر الوسيم يعشق مهنته ويقدر الجمال ويعيش به فيستضيف الجميلات من النساء لرسمهن فمنهن من تقع في غرامه أو تكتفى بقبلة أو ما شابه ..

يميل نادر قليلاً إلى اللوحة ناظراً إلى الموديل شبه العارية مُمسكاً بالريشة فى يُمناه بينما اليُسرى تحمل بالة بها مزيج من ألوان الزيت وتستقر فى أحد أركان الأخيلية عدت لوحات بعضها مائل على الحائط والآخر مُعلق على حامل ..

قصعت الموديل شعرها مُرتدية ثوباً حريرياً قصيراً من عند الأفخاذ مفتوح الصدر مفكوك الأزرار.. واضعة مكياجاً فاقعاً كطلبه .. وفى أحد الأركان يوجد جراما فون عتيق اقتناه نادر من أحد المزادات وقد زين الجدران ببعض الأعمال

المقلدة لبيكاسو وليوناردو دافينشي مع إضاءة خافتة من ثُريا كريستال زاهية الألوان بسقف الأخيلية .

جنات ونادر كانا على موعد مع القدر الذى شاء أن يلتقى لينفض عنها غبار أيام السُحت السوداء فى عالم الرذيلة المُقَنعة ..

إن خبراتها فى دُنيا الرجال وحدسها الذى يُصيب دائماً جعل من نادر الشناوي فريستها القادمة ..

لمحت نادر عن بُعد فى شارع المُبتديان مُرتدياً حُلة زاهية لا يدفع قيمتها سوى قادر مُقتدر مادياً وتحت البذلة البيج كان القميص العنابي الشيك .. وربطة عنق حريرية مُشجرة .. وكان شعره اللامع مصفقا بعناية فنان ويد موهوبة مزينة بساعة ذهبية سويسرية متألقة .. ونظارة شمس ماركت برسول الثمينة ..

كانت وسامته سبباً جعلها تتعاطف معه وتتمناه حبيباً لا ضحية وصارحت نفسها بأن قلبها قد خفق له منذ الوهلة الاولى .. لكن نار حاجتها الشديدة للمادة جعلت غريزة التوحش والحرمان تتغلبان على أحاسيسها كأنثى ..

دنت منه حثيثاً حثيثاً ويسبقها أريج عطرها الفواح ارتطمت به وكان التعارف ..

تمشيا سوياً تحدثا بكل شيء الحب .. الجنس .. الزواج

أبدى هو دهشته لما هى عليه من ذكاء ثاقب .. وخبرة هائلة فيما يخص الرجل والمرأة ..

اعجب بجرأتها الفائقة ونفاذ بصيرتها فى عالم الرجال ..

ولكن هى كانت تقدم له الطعم بطعم المرارة بأنها قد تُيمت به فعلاً .. وأحست بنداء داخلي يُحاول أن يردعها عما هى مُقبلة عليه ..

قبلت دعوته لرسمها بالأخيلية .. كانت مرتعشة خائفة مما تحمله اللحظات القادمة .. فالمخدر بحقيبة يدها مستعد للنيل من ضحيتها بتخديره وسلب كل ما خف حمله وغلا ثمنه ..

بدأ يُعدها كموديل ليرسمها فيرفع وجهها لأعلى قليلاً أو ينزل حمالة فستانها بمقدار.. وتبادلا الهمسات الحانية أثناء الرسم ..

وجاءت فرصتها على طبق من ذهب .. فهاوه يتجه صوب المُبَرد ليحضر عصيراً طازجاً ..

غافلته واضعة المخدر بكأسه أثناء انشغاله بإحضار مكعبات الثلج .. وكانت أشعة الشمس تخترق الزجاج الملون عبر نافذته مُحدثةً جواً من الرومانسية البديعة الحالمة مست شغاف قلبها .. ودنا بكأسه من شفتيه وبحركة عصبية أطاحت بكأسه فنَعتها بالجنون .. انهارت باكية مُعترفة له بكل شيء .. هزها عَنَفها فلم يرحمها منه إلا دموعها المنهمرة فوق وجنيتا ومعصمه .. أفاق من ذهوله .. أشعل سيجارة وبدأ ينظر إليها فى لحظات من صمت رهيب عم المكان وليقطعه سوى همس المارة بالطريق العام ..

تمت ..

الأسد الهارب

أنهى الأسد محمود فقرته فى سيرك (أبو شديد) بالجيزة منهك القوى .. مُتبلد الإحساس بعد ما ألهب سوط المروض ظهره ومنكبيه ومنكبيه .. يكاد يتضور جوعاً .. فهم لا يجودون عليه فى هذا المكان إلا بالنذر اليسير من من لحم الحمير العفن مما لا يكاد يقيم أوده بنظرات حزينة تملأها الهم والحسرة مفعمة بالذكريات .. ست سنوات قضاها محمود بين أسوار هذا السيرك المتواضع .. فمنذ ستة أشهر فقد زوجته اللبؤة حميدة .. و منذ نفوقها عاش محمود فى هم وذل .. ولم يعد يطيق لسعات السياط فوق جسده .. أليه هوب .. تصفيق الحضور .. أصبح ممجوجا ويصيبه بالكآبة .. قفزة وسط النيران المستعرة يزيده هماً على هم وضع الأسد محمود رأسه ذو الشعر الذهبي الكث فوق فوق قائمتيه الأماميتين وراح فى سُباتٍ

عميق مُنتظراً اليوم القادم بكل ما يحمله من بؤس وشقاء لعله يختزل بين طياته الخلاص المنشود

وجاء اليوم التالي بدأ النظارة فى أخد مقاعدهم حول حلقة السيرك المائلة للاستدارة يتابعون البرنامج فقرة بعد فقرة .. وحانت فقرة ترويض الأسود .. رفع

المروض سوطه وهوى به فوق ظهر محمود أليه هوب .. أليه هوب فيقفز وسط أجيج النيران .. ويتعالى هتاف الجماهير وتصفيق يعلو حيناً وينخفض أحياناً .. وفجأة ارتفع زئير محمود ليبلغ عنان السماء آبياً أن يستجيب لأوامر المروض .. استجمع محمود قواه وصار يُحطم كل شيء يقف فى طريقه وانتابته حالة من الهياج الذى لأدواء له سوى الحرية .. تعالى زئيره وقد انتابت الجمهور دهشة ممزوجة بالهلع قفز محمود فوق المروض فطرحه أرضاً وفر الحراس من هول المشهد .. وتحول الأسد الهزيل إلى وحش كاسر فحطم الحواجز والأسوار كاسراً المتاريس والعوائق مُتجهاً إلى نهر الطريق وسط دهشة الجميع .

كان الظلام الدامس يكسو محافظة الجيزة عندما فك محمود أسره .. فظل راكضاً مسافات شاسعة تحت جنح الليل .. منتشاي بنجاحه فى تنسم أريج الحرية مُتجهاً نحو طريق الصعيد فكان الليل يرخى سدوله بينما هو فى قمة النشوة .. نشوة الكرامة والحرية ..

انتشر كالبرق خبر الهارب فى الإذاعات والفضائيات بل ووكالات الأنباء الدولية

حل الصباح والأسد مازال هارباً .. لقد كان الأسد الوديع والذى تحول إلى وحش كاسر يرفض الظلم والقهر منزوياً داخل مزرعة نائية بطريق الصعيد المحفوف بالزراعات من كل جانب .. لاعقاً جسده بلعابه الرطب فقد كلفه هذا المشوار جهداً جهيداً على بعد أمتار ليست بكثيرة .. حيثُ يقطن الحاج متولى مبروك صاحب المزرعة المهجورة .. وله من الأبناء تسع أكبرهم يقوم على شد عضد والده فى جنى محصول القطن ورى الزراعات أما أصغرهم فهو أدهم والشهير بين أقرانه بالمروءة والجسارة وله من السنوات ست يمضى أوقاته بكتاب القرية صباحاً ومع أقرانه مساءاً وأما هذا الصباح فقد أرسلته امه بالمزرعة المهجورة بغية جلب الجريد اللازم لإشعال فرن المنزل العتيق .. فترجل أدهم بتؤدة إلى المزرعة فيفاجأ بمخلوق لم يعهده قبلاً .. نظر أدهم بعينيه البريئتين فيجد الأسد محمود مُمَدداً ومُترقباً .. إلا أن الطفل الشهم اقترب منه حثيثاً مُتحسساً جسده المفعم بالعضلات المفتولة ولامس فراؤه الذهبي الأملس .

نعم لقد حدثت ألفه بين حيوان كاسر ظمآن للحنان وطفل برئ وشجاع وبدا الأسد الهارب مُستمتعاً بحنان الطفل لا تنقصه الجسارة أو المروءة وعلى مدى أيام باتت بينهما ألفة ومشاعر خاصة فبجانب الحب والحنان كان أدهم يُحضر

الدجاج النافق إليه ليأكله فى اليوم السابع فطنت الأم إلى غيابه المُستمر بالمزرعة فهمت إلى استطلاع الأمر مُترجلة إليها مع بعض من صغارها .. وما أن ولجتها حتى رأت مشهداً يُشيب له الولدان وتخرله الأبدان .. فقد كان أدهم ممدداً بين راحتي الأسد محمود .. فى مشهد لن تنساه الام أبداً فهرولت مُستغيثة بزوجها وأبنائها .. فألجمتهم المُفاجأة جميعاً .. فسارع الأب إلى إرسال نجله البكر لأقرب نقطة شرطة لعمل اللازم .. وسط ولولة الأم خوفاً على فلذة كبدها وبينما كان الأسد رابضاً المزرعة أخد الطفل البريء يستصرخ والداه أن يدعا الأسد وشأنه ..

وصلت كتيبة الإعدام فى جو من الهلع والترقب .. بين أبناء القرى والقرى المتاخمة .. ووسط دموع أدهم وأناته قام ستة من العساكر المدججين ببنادق بتنفيذ الإعدام وسط تغطية واسعة من الفضائيات ووكالات الأنباء العالمية .

تمت ..

ذات الشعر الذهبي

فيلا أبو الدهب .. تقع بوسط حي المهندسين وتقطن بها مُنى أبو الدهب نجلة الحاج سيد أبو الدهب تاجر السيارات المعروف .. مع والدتها وأخاها شوقي .. فهاهي منى والمرة الثانية ترسب فى اختبارات الثانوية العامة .. وفى المساء تلج غرفتها باكية على صخب صوت والدها الذى يرتفع صراخه ..

آه يابنتى الـ... دي تانى مرة تسقطي كله من امك ودلعها فيكي ..

بعد هذا الدش البارد يهدأ الأب ويغط فى سبات عميق فيرتفع شخيره حينا وينخفض أحياناً فكان كالإيقاع المُخيف فى سكون الليل ووحشته ..

تحبو منى على أناملها ببطيء نحو التليفون فى الصالة تطلب عزة تليفونياً توأم روحها وكاتمة أسرارها ..

ألو أيوة يامنى مال صوتك واطئ كدة ترد منى بعفوية ..

الحقين بابا ضربني وخايفة ليقتلني ..

ممكن ياعزه أروح عندك لحد ما الموضوع ما يهدى

ياترى ولدتك وأخوك شوقي موقفهم ايه ؟؟ ..

ماما ست مُنكسرة زي ما إنتى عارفة والواد شوقي أخويا بيأخد مصروفي يصرفه على الهباب اللي بتعاطه مع شلة الأنس ..

- خلاص بيتي هو بيتك .. وأهلاً بيكي فى أي وقت .. متنسيش تسرحي شعرك الدهبي ده على فكرة روعة الروعة ..

كانت مُنى تمتلك شعراً ذهبياً يانعاً كهيئة الشمس فى مظهره ولون الذهب فى هيأته ..

تجمع منى أغراضها ومع انبثاق الصباح ووسط تغاريد العصافير تصل لمنزل عزة تطرق منى باب منزل عزة التى تقطن مع والدتها دولت

هانم تلج منى الشقة وسط ترحيب دولت هانم التى كانت صديقة أيضاً لوالدة منى تستيقظ عزة من غفوتها .. تتلاقيان بالأحضان الحميمة تقول عزة باسمة :-

شوفي .. ده بيتك لحد ما يتحل موضوعك .. وعن نفسى أنا سآخذك النادي فى المساء شكراً يعازه وأنا مش عارفة أودى جمائلك كلها فين ..

تصوري الواد شوقي أخويا بيأخد مصروفي عشان يصرفه على الهباب اللي بيتعاطاه مع شلة الأنس .. وماما ست مُنكسِرة زي ما إنتي فاهمة وأبويا راجل جاهل وكل همه يجمع الفلوس من معرض سياراته ..

بالليل نروح النادي وتنسى أحزانك والشباب تتجنن عشانك ..

كانت منى لاتضع مكياجاً على الإطلاق فهى تعتبر خصلات شعرها سر جمالها .. فوقفت أمام المرآه تُسرح شعرها الذهبي وعقصت شعرها للخلف مُحدثة ديل حصان وأرسلت بعض الخصلات الذهبية فوق جبينها وخالاُ فوق وجنتيها .

فى المساء وسط صفافير الإعجاب للشباب والمراهقين فى النادي تدخل منى وعزة بتُؤدة وصولاً إلى ملاعب التنس حيثُ يتمرن كابتن (طاهر حسنى) وهو ذو صلة قرابة بعزة يرمق الكابتن طاهر الصديقتان من بعيد إلا أنا شيئا ما جذبه نحو منى .. إنها تشبه النجمة العالمية (صوفيا لورين) إلى حد بعيد العينان الواسعتان وعيون المها والأنف المُدبب .. والشفتان المُكتنزتان والجسد الملفوف المُغرى ... يرمُقها بنظرات الشغف والإعجاب ..

كانت منى تتابع أخبار الكابتن طاهر من خلال مطالعاتها الصحف بحُكم اهتمامها برياضة التنس .. كان شعوراً رائعاً مُتبادلاً بين شقراء بارعة الحُسن لها اهتمامات بالرياضة ورياضي شغوف بالفن الراقي .. رقص قلب منى طرباً وشجناً عندما علمت بأن دولت هانم استضافت كابتن طاهر حسنى لتناول الشاي بمنزلها

فى ذلك اليوم وصل الكابتن بقامته الممشوقة وعوده الرشيق وابتسامته المعهودة .. جلس فى غرفة الاستقبال بينما تُتابعه منى بشغف من خلال ثقب الباب .. وأدارت صوت المُسجل على موسيقى خفيفة فكانت دقات قلبها كالإيقاع المثالي لتلك الموسيقى ..

وطأت منى غرفة الاستقبال وحيت الكابتن وساد الصمت بُرهة غير قصيرة فبادرها طاهر بالقول :-

- بتشوفي سينما يا منى ..

بعد لحظات من التفكير أجابت ..

أنا فأكرة إنك هاتك لمنى فى الرياضة ..

- ده فن .. وده .. فن .

ترد منى بعفوية وحماسة ..

- لكن الرياضة لا تخلوا من العنف .. والفن شيء رقيق حالم أنا عن نفسى بعشق الشقراوات من نجوم السينما والمُطربات

- لكن أنا بعشق صوفيا لورين ذات الشعر الكحيل ولا تفرق معي حكاية الشعر دي ..

وينتهى اللقاء بقصة حُب كانا بطلاها الشعر الذهبي والشعر الأسود الكحيل ..

سهرت منى بجوار عزة يتسامران وإذا بالهاتف يرن فى الثالثة فجراً ترفع منى السماعة وبعد السلامات والتحيات يُفجر طاهر مُفاجأة مُدهشة قائلا بصوت هامس :-

أنا مسافر بعد أسبوعين كاليفورنيا عندي منحة من إحدى جامعتها ..

أدرس هندسة وأخش بطولات وأكسب جوائز.. أنا عايزك يا منى معايا .. ترضى تتجوزيني وبعد كدة نسافر؟

دق قلب منى سريعاً

كدة .. كدة يعنى حضرتك صممت وقررت .. سبني أفكر شوية ..

تضع منى السماعة حيثُ تراودها أحلامها الوردية اليانعة .. قالت لنفسها أين هو من شعرى الذهبي ... لكن الجمال الوهاج يكتمل بدونه كما فى حالة النجمة الإيطالية العالمية (صوفيا لورين) ..

إنها فى صراع نفسى مُحتدم بين عقلها وقلبها إن نداء العقل يقول أن تُبقى شعرها ذهبياً ، أما نداء القلب فيقول أن الجمال يكتمل حتى لو كان الشعر أسوداً كاحلاً .. أخيراً أمسكت مُنى التليفون تطلب

الكابتن طاهر حسنى معلنةً موافقتها على الزواج منه والسفر برفقته إلى الولايات المُتحدة ..

ارتدت منى ملابس الاستحمام وأحضرت الصبغة السوداء وقامت بصبغ شعرها للون الأسود .

تمت ..

إضراب النشالين

بدا الطقس حاراً ومُضطرباَ بأنحاء العاصمة وبائع العرقسوس المُثلج هو الأوفر حظاً فى شوارع القاهرة حيثُ يُعتبر قبلة العطاشى فى الأزقة و العطفات بل وشوارع وسط البلد أيضاً ..

أما النشالين فيجدون بالأماكن المزدحمة مرتعاً لهم خاصة أوائل كل شهر.. ينتشر صبية المعلم برقوق وسط الزحام إنهم من ضحايا المُجتمع الجائروضيق الحال .. أغلبهم يتامى وأطفال شوارع متسربين من التعليم ومنهم من فقد الأب أو الأم أو الاثنين معاً .. وأيضا منهم من يشم الكولة إذا لم يجد الحشيش أو البانجو إنه الجيل الضائع كما يقولون والمعلم برقوق له أعين فى مُعظم العزب والأزقة فمنهم من يقوم بإلحاقهم بوكره .. أما زوجته المعلم باتعة الرايق التى لا يفارق مبسم الشيشة فمها .. فهى رفيقته المخلصة فى عالم السرقة والنشل فى هذا الوكر

امسك حرامي .. امسك حرامي هى كلمات اعتادت عليها آذان النشالين . من ضحايا المُجتمع والتفكك الأسرى يستشعر المعلم برقوق وزمرته من عتاة السرقة والنشل بتناقص فى عائدات النشل شحوح الغلة .. كان حموكشة ذراعه الأيمن وخادمه المخلص وكاتم أسراره من العارفين ذوى الخبرة فى هذا الكارودروبه

وأسراره مُرتبط بالتغيرات والتحولات السياسية والاجتماعية بوفرة الغلة أو نقصانها .. قد جاء عصر الانفتاح وزادت الهوة بين الغنى والفقيروأصبحت الطبقة المُتوسطة فى خبركان وزادت الفجوة بينهم بشكل صارخ ..

- والنشالين لم يكتفوا بمص دماء البسطاء من الطبقة المُعدمة بل تعدوهم إلى النشل بالإكراه لأبناء الطبقة المُتوسطة إن وجدت ورويداً رويدا انحسرت العائدات إلى أن ضاق المعلم وزوجته من عُسر الحال ..

يجتمع قادة مافيا النشل لعاصمة ليقول كلُ كلمته فى هذا الموضوع ..

يقول المعلم برقوق :

- مش عارفين إزاى ها نعيش .. الناس ممعهاش .. هنعمل ايه؟؟ بس تُسمع همهمة بين قادة مافيا النشل تقطعها باتعة زوجته بلهجة انثوية لا تخلو من الدهاء وتقول :

- ايه رأيكم نعمل إضراب ونشوف إدارة مكافحة النشل هيشتغلوا إزاى ؟

يقهقه المعلم برقوق ويغتبط للفكرة .. بينما يقول حموكشة بدهاء ..

أما فكرة يا معلمة .. يقاطعهم برقوق قائلاً :-

من بكرة نجمع الصبيان قدام الداخلية نعمل هوجة عليهم ونشوف هيشتغلوا إزاى من غيرنا ..

أمام الداخلية اجتمع النشالين هاتفين مش نشلين .. مش نشلين

كانت تلك العبارة يرددها الصبية ومعلمين صنعة السرقة والنشل

وهكذا عبروا عن أنفسهم احتجاجا على الاوضاع الصعبة التى يحيونها وأيضاً احتجاجا على سقوط المجتمع فى فخ الانفتاح والعولمة .

تمت ..

قطة الحاج عباس

تستيقظ عائلة الحاج عباس التدميري على نداءات زوجته عائشة أو عيشة كما يُحب زوجها أن يُلقبها .. كان اليوم هو الخميس موعد غسيل الملابس بعدما استيقظ أولادها تتجه نحو الحمام أو الكنيف حيثُ الغسالة المُتهالكة والتى يُشبه صوتها صوت وابور السكة الحديد .. ينهض الأبناء تباعاً وتبدأ الجلبة بالمنزل العتيق الذى ورثه الحاج عباس أباً عن جد .. كانت عيشة تشكوا شظف العيش وبدأت بإهمال نفسها رويداً رويدا إلى أن صارت كركوبة وهى مازالت فى الأربعينيات من عمرها وتبدوا دائماً بالجلباب الباهت البالي وهو أحد رداءين تمتلكهما ..

كان الحاج عباس مازال يغط فى نوم عميق .. بينما نزل خمسة من أبنائه السبعة إلى حارة زينهم يلعبوا مع أقرانهم من الصبية والأبن الأكبر حسن ذو الأربعة عشر ربيعاً كان وجهه يحمل آثار مشاجرة قديمة مع عزيز ابن الجزار وهو جرئ ومغامر وكان كثيراً ما يضرب اخته كوثر المُنكسرة أمام عدوانية حسن ..

كانت شقة الحاج عباس عبارة عن أربع غرف كبيرة لأنها بنيت أيام العز فى القرن التاسع عشر فأصبحت كالأثر التاريخي وكان الحاج عباس ذو الوجه

العبوس والكرش المتدلي كثيراً ما يتباهى بهذا المنزل بين أقرانه حيثُ يتاجر في الفاكهة وكان مشهوراً بشاربه الكثيف ويبرمه باحتراف ..

والشقة العتيقة عبارة عن حجرة الأبناء فبعضهم ينامون أرضاً وآخرين على الكنبة البالية .. والحُجرة الثانية هى حجرة التعميرة أو الشيشة والتى يترنم فيها الحاج عباس أنفاس الشيشة التى هى عصب حياته وملذاته فهنا يوجد الفحم المُشتعل كاللظى وبواكي المعسل الفارغة .. أما الحجرة الثالثة فهى خاصة به وزوجته عيشة كما يحلو له أن يُناديها حيثُ السرير العتيق ذو الأجراس والدولاب المُتهالك والمرآه شبه المطمورة وسجادة باهتة أكل عليها الزمان وشرب أما الحجرة الرابعة .. فتحتوى على كل مالا يلزم من الكراسي المكسورة إلى لوازم البيت المُهملة ..

ترقد فى أحد الأركان القطة مشمشة هذه الهرة التى أهدتها وهيبة اخت الزوجة عيشة إلى الأسرة منذ بضعة شهور كان لونها مشمشي مثل إثمها ذو رونق فاقع وتُعتبر من القطط الجميلة فى المنطقة وكانت هذه القطة لأتسلم من مناوشات الصبى حسن .. اما كوثر فكانت تطعمها البطاطس واللبن كانت قطة مُسالمة ووديعة وحسنة المظهر ولا تستطيع التفرقة بينها وبين القطط الشيرازي ..

تفتق عن ذهن المُراهق حسن فكرة جهنمية وهى باختصار لماذا لايأتي بقط فتىٌ وقوى حتى تتم عملية تهجين فقد يكون النسل مُربحاً فى المُستقبل ..

أفضى الصبى حسن لوالده بالفكرة فغبطها قائلاً :-

عفارم عليك يا أبو على تنزل الحارة وتختار أجدعها قط يا أبو الأفكار.

حاضر يا..بابا ..

يترجل الصبى حسن إلى الطريق .. حتى تكتمل الفكرة وتُحبك قام بشراء قطعة كبدة من مسمط عم عبده وظل يجوب ويجوب العطفات والحوارى إلى أن وقع أخيراً على مُبتغاه وضالته .. شاهد قطان من ذوى اللون الأبيض والبقع البنية قد دخل فى معركة وحشية مع قط أسود كالفهد وكانت معركة حامية الوطيس تدور رحاها للاستئثار بأنثى راقدة بجوار مقلب للقمامة أمام عراك القط الأسود والمُحتدم من القطان الأبيضان فرا من ساحة القتال تاركين الساحة للقط الأسود الفهد ..

تيقن حسن إنه حصل على مُبتغاه .. فبعدما قضى القط الفهد وطره ظل راقداً على رباعيته وقد انطفأت غريزته وهدأت ..

بدأ حسن فى الاقتراب منه شيئاً فشيئا فيغريه بقطعة الكبدة الشهية الساخنة وولجا سوياً منزل والده الحاج عباس وصولاً لغرفة الكراكيب انتهى القط الأسود من التهام قطعة الكبدة الشهية ثم بدا ساكناً فترة .. رمق القطة مشمشة وهى من منزوية أحد الأركان وكانت مُتوترة ووجلة من القادم العدواني الجديد .. وفعلاً بعدما أشبع جوفه بدأ فى الاقتراب منها حثيثاً وتقوس ظهره وبدأ فى إصدار صوت يُشبه صدى البوق القديم ومحاولاً القفز فوقها بطريقة عدوانية هستيرية فكلما قفزت لمكان هرول خلفها والقطة مشمشة تقاوم وتقاوم .. إلى أن قفزت فوق منضدة وضعت فوقها الزوجة عائشة زجاجة بوتاس بإهمال وبينما يشرع الذكر الأسود فى القفز أطاح ذنبها المقوس بزجاجة البوتاس فتنسكب فوق الهر الأسود فيكوى جلده الأسود وتصدر عنه حشرج مكتومة ومُعلنة النهاية المطاردة المُثيرة ..

تصل أخبار تلك الموقعة الحاده للحاج عباس الدميري فينقض على زوجته عيشة ركلاً وضرباً لنسيانها البوتاس بغرفة الكراكي .

تمت ..

صفقة على شرف امرأة

نهضت حسنية ذات الثلاثة وعشرين ربيعة من فراشها مع تغاريد عصافير الصباح وحسنية مبروك لها وجه ملائكي ترتاح بالنظر إليه فبشرتها الخمرية تكاد تلفت الانظار لصفائها وترتسم البسمة على مُحياها كالملائكة .. تزوجت حسنية منذ ستة أشهر فنحن الآن فى العام ١٩٦٨ .. أما زوجها فهو أمين المصري .. رجل بسيط يكسب لقمته من كده وشقائه طوال اليوم عن طريق عربة المعكرونة التى يمتلكها ..

وهو رجل بسيط ومُتدين .. حريص على حضور مجالس العلم والدين بالمسجد حيثُ يؤدى كل صلاه .. فى فجر أحد الأيام الشتوية تهز دقات صاخبة على باب شقته البسيطة .. يصرخ المخبر فى وجهه بصرامة وبصوت يقترب من الصراخ ..

- انت أمين المصري ؟

- أيوة .. خير فى ايه ؟

تنتفض حسنية كالمذعورة ويتعالى صراخها عندما اقتاد المخبرون أمين فى الثالثة فجراً ..

في قسم الشرطة .. يهوى المخبر بكفه الضخم فوق صدغ أمين عندما سأله وكيل النيابة بغلظة لاتعرف الرحمة ..

- ايه علاقتك بالإخوان بأحسن

- يأبيه ده كان درس فى الدين ومالوش دعوة بالإخوان

- كدة يعنى مش ناوى تتكلم طيب .. طيب

ويشير إلى المخبرين بإشارة مُتفق عليها .. يدخل مكتبه مصور مُحترف ثم يدخلون حسنية للمكتب .. ووسط صرخاتها وذهول أمين يبادون فى نزع ثيابها عنوة مع قيامهم بالإعتداء الجنسى عليها تزامناً

مع التقاط الصور وهى عارية وغائبة عن الوعى من أثر الاغتصاب الجائر..

يعود أمين لزنزانته وهو مقتول معنوياً وكان السعال يلازمه بشدة بسبب الزنزانة الرطبة حيثُ أغرقها الحراس بالمياه .. ويشتد سُعاله حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة ويموت داخل زنزانته .

تعيش حسنية أيام الوحدة والألم .. كيف لا وقد فقدت ملاذها الآمن وهو زوجها امين وتم تصويرها عارية تماماً وعانت من عذاب القلق الممزوج بالحُزن الشديد على فراقه وخراب بيتها والتشهير بها

بعد مرور اسبوع تقريباً على وفاته بدق جرس بابها دقات هادئة إنها آمال الفنجري وهى صاحبة النظرات الجريئة وثياب ضيقة فاقعة الألوان مع أريج عطر فواح ..

تقول أمال ممكن أدخل ردت حسنية بهدوء جم ..

- أتفضلى ..

تدخل آمال الشقة بتؤدة كنجمات الإغراء جالسة فوق الفتيه وواضعة ساق فوق ساق لتكشف عن نصف فخذيها .. وسط استغراب ودهشة حسنية التى تقول بحزم وعنف .

- مين حضرتك ؟؟

- أنا أمال الفجري .. جاية أخلصك من أزمتك وتُخرج ورقة بمائة جنيه كانت حسنية فى أشد الحاجة لها .. فكرت حسنية بالمبلغ الذى يدخره زوجها المرحوم

حسن وأنه آخذ فى التناقص فكرت وهمت بالتقاط النقود ... إلا أنا أمال سحبت يدها الحاملة بالنقود قائلا بدهاء .

- بس سيد بك نفسه يشوفك كان سيد بيه أحد الرجال المخلصين لواحد من كباررجال المخابرات العامة والذى سال لعابه لحسنية بعدما شاهد الصور العارية لها بعد أن عرضها عليه وكيل

النيابة المتواطئ أحست حسنية أن هناك صفقة على شرفها ... فتقول حسنية بحزم شديد ..

- أطلعى برة

تضحك أمال بطريقة فاجرة قائلةً

- طيب حبيبتي .. عايزاني اطلبيني فى النمرة دي .. تترك الكارت الخاص بها فوق المنضدة وتودعها قائلةً

- باي باي ياقمر الكارت فيه نمرتي وعنواني يا حبيبتي ..

أضحت حسنية فى دوامة رهيبة من الألم والحيرة .. إنها ستبيع جسدها لمن يرغبه .. يالها من ورطة .. إنها بين نارين .. نار فراق زوجها وإخلاصها لذكراه .. ونار

حاجتها المُلحة للمال وانتهت تلك المُعضلة .. باستسلامها بعد مقاومة عنيفة من ضميرها ..

تصل حسنية لمنزل أمال .. تفتح أمال الباب وتقول بلهجة المنتصر

- انا عارفة انك مش ممكن تكسفيني .. أتفضلى .. تدخل حسنية ببطيء الشقة المفروشة وتجدها مليئة بالصور العارية وباراً فوقه رفوف عليها زجاجات الخمور كالويسكي والشامبانيا وبعض الكؤوس من الكريستال الثمين .. وتأخذها لغرفة نومها وتفتح الدولاب قائلة لحسنية

-. فستان سهرة ولا قميص نوم ،،

وجلت حسنية لماهي مُقدمة عليه

وجاء سيد بك المتخصص فى إغواء الجميلات والإيقاع بهم فى شباكه ..

جاء وأمضى سهرته ... ومضى بعدما لوث الجسد الشريف بالدنس والخطيئة

وصارت تلك حرفتها فأدمنت الخمر وأضحت عاهرة رغماً عنها .

كان كمال مظهر صحفياً لامعاً فى جريدة الفجر الجديد وواحد من أصحاب القلم النزيه فنحن الآن فى العام ١٩٧٤ كان يجلس مع بعض أصدقائه فى جلستهم المعهودة مساء كل خميس عندما تفتق ذهن أحد جلسائه عن فكرة مُثيرة وقائلاً

- ايه رأيكم فى قعدة فرفشة وحظ ؟ ..

يرفض كمال الفكرة فألح عليه زملاؤه ... فقبل على مضض .. زاركمال والشلة منزل أمال المرأة القوادة .. ولفت انتباهه نظرات حسنية الحزينة وقد عرف قصتها صدفة عندما استمع لحديث أمال الفجري عنها ..

اقترب من حسنية حثيثاً وبدأ الحديث معها .. لاحظت حسنية أنه وسيم وجذاب وشيك وليس كباقي الزبائن وبعد الحديث الهامس

قالت حسنية بنبرة مصطنعة يلا .. يلا بينا على السرير.. فيرد كمال مظهر بعفوية ممزوجة بالحزم ..

- صدقيني أنا مش جاي عشان كدة .. أنا لما عرفت قصتك ووجهك الملائكي .. قررت إني أنتشلك من هذا المُستنقع

نظرت حسنية بإشفاق إلى جسدها الذى دنسه الزبائن فباتت حزينة تائهة مُترددة ..

- قال كمال :

- ايه رأيك تقابليني بكازينو الشجرة بكرة الساعة ٣ عصراً ؟ .

وصلت حسنية فى الميعاد المعهود فينهض من مقعده الوثير محيياً لها وبعد التحيات المُعتادة يقول كمال مظهر:

- للأسف يا حسنية إنتى كنتي ضحية من نزوات بعض رجال المخابرات .. وأنا طول حياتي الصحفية وبأفضحهم واكشف ملاعبهم

مش دول اللي دمروا البلد بعد النكسة هم أيضاً جعلوا إنسانة شريفة وفى حالها مثلك تسلك طريق الفجور والرذيلة تقاطعه أمال بلهفة قائلة :

- والله أنا كان جسمي بتقطع لما تلمسه بأيدين النجسة وتشوفه العيون الجعرانة ..

ويتواعدان بلقاء آخروكان هذه المرة بجمعية المروة للأيتام ..

يُقدم كمال مظهر حسنية للمُديرة قائلاً بغبطة

- أنا جاي أقدم لك ملاك الرحمة .. إقبليها كمشرفة على الأيتام بالجمعية ..

وترحب بها المديرة

وتبدأ حسنية صفحة جديدة من حياتها .

تمت ..

أبو زكـــة

هو حسن أبو زكة ابن المشهد الحسيني .. حيثُ يقطُن مُعتــمراً طاقية بلدي ينسدل من تحتها شعره المُرسل على قفاه .. ومُرتدياً جلباباً عتيقاً من الصوف الخالص فيه بعض الرقع .. مُزيناً عنقه بمسبحه كهرمانية من الحجم الكبير والتى تلمع فى الظلام فوق شعر صدره الكث .. وفي قدميه بُلغة بالية مليئة بالبقع والنتوءات .. حاملاً فى يده اليُمنى نبوتاً ورثه عن جده ولا يكــاد يقتات إلا بــما يجــود بـــه زوار الحسين بما يحسنون عليه من الخبيز وشتى صنوف الزاد .. ويدفع إيجار حجرته العتيقة مما يجودون به من الحسنات ..

تمددَ على فراشه البالي وسرح مُستحضراً ماضيه وهو طفل لم يبـلغ السابعة بعد ..

وكيف كان المرحوم أبوه يأخذه إلى الحضرة فى مسقط رأسه طنطا وفى مسجد السيد البدوي .. وكما أخبرته امه إنه قد أصابه عين الحاسدين ثم أخذت الاحلام تراوده إلى أن قدم إلى القاهرة واستقر بالحُسين حـيثُ الناس الطيبين اللذين يرثون لحاله الرث .. داعبــه النــوم فاستسلم له متمنيا الروح والفؤاد برؤية قد تتحقق ..

كان أبو زكة يعتقد أن له بركات وأن ما يشاهده فى احلامه لابــد وأن يتحقق يوماً ما ..

ويروى رؤياه على أهل الصلاح من الشيوخ ورواد الحضرة ..

قد ولد وساقه اليُسرى أقصر قليلاً من اليُمنى .. وهكذا جاءت كُنيتــه (بأبو زكة) ..

أما الشيخ سيد المليجي وبطانته فكانوا ممن يشفقون عليه .. وكانوا هم الملجأ عندما يشتدُ الخطب بأوج زكة ..أو عندما كان يشكو من شــظف العيش أو معايرة الناس له بسبب علتــه .. يُخــاطب أبو زكــة الشيخ المليجي ..

قائلاً : أما شفت منام يشيخ سيد .. سُبحان الله شفت بطة مشوية وأنا عمال آكل فى لحمها ولما صحيت لاقيت واحد من زوار الحسين بعــزم عليَّ بكتكوت محمر .. شوفت كرامة زي كدة يا شيخ سيد ..

يضحك الشيخ المليجي فى سره قائلاً :

الظاهر إن ربنا بحـبك يا أبو زكة .. ويلمــح من بعيد الاطـفال اللذين يدنون منهم قائلين :

(أبو زكة زاغ ومعاه الفكة) فيهرول أبو زكـة وهــم يلاحـقونه بهذا النشيد ..

وقع فى حب شربات بائعة السميط .. بل ورآها فى منامه تشدو بالأغنية الشهيرة .. (يا خارجة من باب الحمام) وهى تستحم فى الظهيرة ساقته قدماه إليها فيُخرج من عبه بعض حبات من الفول السوداني

مازحاً معها وقائلاً :

– أهه يبقه سميط وفول سوداني يا قشطــة بالعسل .. يا مربـة فراولة ياست الحى .. وعقال ما ربنا يلمنا فى عشة لوحدنا .. إمتي بقة نتأهل يا قمر الزمان .. يا نور المكان .. تُقطب شربات جبينها وتحتد عليه بعنف ..

قائلة : امشى قطع لسانك يا أبو رجل ونص .. قبر يلمك قبل ما تلمس شعـرة منى ..

ويتجمع الخلق إثر هذا الزعيق .. يُغادر حسن المكان حزيناً ومُترجلاً إلى عم سيد المليجي ليشكو له من إعراض شربات عنه وتعنيفها له وسط الجموع ..

يربت عم سيد على كتفه برفق ويقول له بلطف :

الأشكال دي مش بطاعتك يا حسن .. انت ليك عند ربنا حورية من الجنة فى الدار الآخرة بإذنه وفضله تعالى .. ويدُس يده فى جيبه مُخرجاً ورقة نقدية مانحاً إياها لأبو زكة ..

قائلاً : خد دي وهاطلك لقمة حلوه تنسيك شربات وأبو شربات كمان ..

ينتشى أبو زكة من هذه المنحة ويضحك ببلاهته المعهودة .. يُهرول إلى عربة الفشة والمبار وتغنم طبقاً مُعتبراً ويدُش بصلة بقبضته اليُمنى ويلوكها بين فكيه .. ويُبلع بماء الطرش الذى يعشقه ..

تمت ...